علم العرب الأقدمين بالجراد

للدكتور محمد مأمون عبد السلام

وكيل قسم أمراض النباتات بوزارة الزراعة

عرفت شعوب الشرق الأوسط من حاميين وساميين الجراد وأحواله وأطوار نموه وتحركه من أقدم العصور . يدل على ذلك ماورد فى كتب العهدين القديم والجديد ، وما جاء فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، وما لدينا من أمثال العرب القدماء وأشعارهم . فوصف سفر الخروج (١٢ — ١٣) غارات على مصر أبلغ وصف : « ثم قال الرب لموسى مد يدك على أرض مصر لأجل الجراد ليصعد على أرض مصر ويأكل كل عشب الأرض وكل ما تركه البرد . فمد موسى عصاه على أرض مصر فجلب الرب على الأرض ريحاً شرقية كل ذلك النهار وكل الليل ، ولما كان الصباح حملت الريح الشرقية الجراد فصعد الجراد على كل أرض بمصر وحل فى جميع تخوم مصر شىء ثقيل جداً لم يكن قبله جراد هكذا مثله ولا يكون بعده كذلك ، وغطى كل وجه الأرض وأكل جميع عشب الثمر الذى تركه البرد حتى لم يبق شىء أخضر ولا فى عشب الحقل فى كل أرض مصر » .

ووصف سيدنا سليمان أسراب الجراد فى أمثاله بقوله : « الجراد ليس له ملك ولكنه يخرج كله فرقاً فرقا » .

وجاء فى القرآن الكريم « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين » .

وورد أن النبى الكريم كان يصلى ظهراً والجنادب تنقز من الرمضاء . وفى حديث عمر رضى الله عنه أنّ رجلا قال أصبت دباة وأنا محرم ، قال اذبح شويهة . وفى حديث ابن عباس أنه دخل مكة رجل من الجراد فجعل غلمان مكة يأخذون منه فقال : « أما إنهم لو علموا لم يأخذوه » يعنى بذلك أنّ صيد الجراد مكروه فى الحرم . وفى الحديث الشريف « كأن نبلهم رجل جراد » . وذكر الجراد فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم فقال ليت عندنا منه قفعة أو قفعتين . قال ذلك لأنه غذاء محبوب عند العرب . وسئل النبى كيف الناس بعد ذلك ؟ قال دبا يأكل شداده ضعافه حتى تقوم عليهم الساعة . وقال النبى صلى الله عليه وسلم إن مريم جاءت لجاءها طبق من جراد فصادت منه — أى قطيع من الجراد . وورد أن عائشة رضى الله عنها أرسلت إلى النبى جراداً مخموساً أى سوى على النار . وفى حديث غزوة حنين « أرى كتيبة حرشف » أى فرقة من الرجالة شبهوا بالحرشف أى الجراد لكثرتهم .

وقد ورد الجراد بأسمائه المختلفة فى أمثال العرب وحكمهم وأشعارهم فقالوا (إذا أجدب الناس أتى الهاوى والعاوى) والهاوى هو الجراد والعاوى هو الذئب وسمى الجراد بذلك لأن له هويا أو دويا يعنى صوتاً . وقد سمى بعض العرب خيلهم بالجرادة والخيفانة ، تشبيها لها به فى خفته وسرعته ، فسمى عبد الله بن شر حبيل فرسه بالجرادة . وجرادة العيار اسم فرس فى الجاهلية لأعرابى اسمه العيار صاد جراداً وهو جائع ودسها فى النار وصار يخرجها واحدة واحدة ويأكلها حية وهو لا يدرى من شدة الجوع فطارت منها جرادة فقال : « والله إن كنت لأنضجهن » فضرب ذلك مثلا لكل من أفلت من كرب . وقيل كان العيار رجلا أعسر أخذ جرادة ليأكلها فأفلتت من عسر شفته ، ويصف العرب الفرس والناقة السريعة بأنها خيفانة لسرعة عدوها وخفتها وطفورها كالجراد قال عنترة :

فغدوت تحمل شكتى خيفانة ... مرط الجراء لها نميم أتلع

وقال امرؤ القيس :

وأركب فى الروع خيفانة ... لها ذنب خلفها مسبطر

وقال مشبها الخيل بالحرشف :

كأنهم حرشف مبثوث ... بالجو إذ تبرق النعال

والحرشف ضرب من الجراد قال الراجز :

يا أيها الحرشف ذا الأكل الكُدَم — يعنى الشديد الأكل .

ويقول العرب فى أمثالهم « صر الجندب » وهو مثل يضرب للأمر يشتد حتى يقلق صاحبه . والأصل فى هذا المثل أن الجندب وهو الجراد إذا أرمض من شدة الحر لا يستقر على الأرض بل يطير فيسمع لرجليه صرير . وقد وصف ذلك أحد شعرائهم بقوله :

قطعت إذا سمع السامعون ... من الجندب الجون فيها صريرا

والجندب من أسماء الاسماءة فى لغة العرب فتراهم يكنون به الظلم والغدر والداهية فيقولون (وقع القوم فى أم جندب) إذا ظلموا . قال الشاعر :

قتلنا به القوم الذين اصطلوا به جهاراً ولم يظلم به أم حندب

أى نقتل به غير القاتل .

وكان من عادة العرب أن يسموا الأشخاص بأسماء الجراد ، فورد أن جرادة اسم امرأة فى الجاهلية غنت للرجال الذين أوفدهم عاد إلى البيت الحرام بمكة يستسقون لتلهيهم عن السقاية . وفى ذلك يقول ابن مقبل :

سحراً كما سحرت جرادة شربها

بغرور أيام ولهو ليال

ويقال إنه كان بمكة فى الجاهلية مغنيتان يقال لها الجرادتان مشهورتان بحسن الصوت والغناء ، وقيل إنهما مغنيتان للنعمان . وجندب اسم رجل .

وعادة أكل الجراد قديمة عند شعوب الشرق الأوسط فقد أحله الله لبنى إسرائيل على لسان كليمه موسى « هذا منه تأكلون الجراد على أجناسه ، والدبا على أجناسه ، والحرجوان على أجناسه والجندب على أجناسه » . وكان يحيى بن زكريا عليهما السلام يقتات بالجراد والعسل وهو يتعبد فى البرية .

وقد أحل أكله للمسلمين على لسان النبى الكريم « أحلت لكم ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال » . وورد فى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأكل الجراد فى غزواته ، فقد ذكر ابن أوفى « غزونا مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أو ستاً كنا نأكل معه الجراد » ، ولذلك كان العرب يصطادونه ويكتسبون لعيالهم منه كما قال المبرد :

إذا أكل الجراد حروث قوم فحرثى همه أكل الجراد

وللعرب فى أكله طرق فكانوا يقشرونه أى ينتزعون رؤوسه وقوائمه ويسمونه الجُلف ومفرده جليف كما ذكر قيس ابن الحطيم فى وصف امرأة :

كأن لباتها تبددها هزلى جراد أجوافه جلف

وكانوا يجففونه ويسحقونه ويضيفونه إلى الدقيق لصنع الخبز ويطبخونه فى المرجل ويسمونه الهميشة لأنه يغلى بعضه فى بعض فيسمع له حركة . ويشوونه على النار ويسمونه المحسوس ، وكان العرب يأكلون بيض الجراد وبيض الضب ويسمونه المكن قال أبو الجندى عبد المؤمن بن عبد القدوس :

٢٣ ، ٢٤

وما فى البيوض كبيض الدجاج وبيض الجراد شفا القرم

ومكن الضباب طعام العرب لا تشتهيه نفوس العجم

ولم يعتبر العرب الجراد حشرة بل كان فى عرفهم من صغار الطير لذلك سموه طيفورا أو طويئراً .

والجراد من صميم حشرات بلاد العرب لكثرة ما ورد من أسمائه فى العربية . وقد سمى جراداً لأنه يجرد الأرض أى يدبشها أو ينمشها أو يحتنكها أى يلتهم كلأها فيتركها جرداء من جرد الشىء قشره وجرد الجلد نزع عنه الشعر . ومنه الرجل الأجرد . والجرد من الأرض الفضاء الذى لا نبت فيه . قال الشاعر يصف حمار وحشى يأتى الماء ليلا ليشرب .

يقضى لبانته بالليل ثم إذا أضحى تيمم حزما حوله جرد

والجردة أرض مستوية متجردة . ومكان جَرِد وأجرد وجَرَد لانبات فيه . وفضاء جرد وأرض جرداء جردها الجراد أو القحط تجريداً . وفى الحديث (كانت فيها أجارد) أى مواضع متجردة من النبات . والسنة الجارود هى المقحطة الشديدة المحل . ويقول العرب جردت الأرض فهى مجرودة إذا أكلها الجراد .

والجراد اسم للجنس يطلق على الذكر والأنثى على السواء ، ويسمى العرب ذكر الجراد بالعنظب أو العصفور أو الجندب . وقيل الجندب والقمل هو الصغير من الجراد قال الشاعر :

يغالين فيه الجزء لولا هواجر جنادبها صرعى لهن فصيص

أى صوت . ويسمون الأنثى من الجراد المنظوانة نسبة إلى العَنَظ وهو الكرب لأنها تحدث الكرب والشدة قال جرير :

ولقد رأيت فوارسا من رهطنا عَنَظُوك عَنْظَ جرادة الغيار

(أى لازموك وغموك) وتسمى الأنثى أيضاً السرعوفة أو العيساء أو العرادة أو الدباساءة . ومن أسماء الجراد الحسبان المذكور فى القرآن الكريم « فعسى ربى أن يؤتينى خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقا » . ومنها الحاسة لأنه لا يدع فى الأرض شيئاً الا حسه أى لم يترك منه شيئاً . ومنها أيضاً السرواح لأنه يسرح . ومن أسماء الجراد أيضاً الجائح لأنه يجتاح كل شىء أى يستأصله ، ومنها الجادى لأنه يجدى أى يأكل كل شىء . قال عبد مناف الهذلى :

صابوا بستة أبيات وواحدة حتى كأن عليها جادياً لُبَداً

واللبد هو الكثير .

والدَّيْجَان هو الكبير من الجراد .

والجُنْدُعُ أو الخُنْدُعُ أو الحَنْدَعُ جندب أسود له قرنان طويلان وهو أضخم الجنادب .

وكان العرب على علم بأطوار نمو الجراد وتطوره وتزاوجه فقالوا غرزت الجرادة أو رزت أو متحت أى أثبتت ذنبها فى الأرض لتسرؤ أى تدفن بيضها فى الأرض فهى غارزة ، والمغرز هو موضع بيضها ، والجرادة السرؤ هى التى أسرأت أو سرأت أى ألقت السرء أى المكن وهو البيض . ويطلق العرب المكن على بيض الضب كذلك كما سبق القول .

ويقول العرب مكنت الجرادة فهى مكون إذا كانت حبلى أى جمعت البيض فى جوفها وحفظته فيه فإذا ألقته فهى السلقة . فإذا لم يكن فى جوفها بيض فهى جرادة صفراء .

وإذا انقف الجراد بيضه أى القاه فإنه يتنفس عن السروة وهى صبهاء إلى البياض وهذه تصبح دبا عند ما تأخذ فى الحركة قبل أن تنبت أجنحته أى قبل أن يطير فتكون الأرض لوجوده مدبوءة أو مدبية وواحدته دباة . والدبى اسم مكان بالدهناء يألفه الجراد فيبيض فيه . والدبا يكون فى أول أمره قصاً كالعث صغراً (الطور الحورى الأول) ثم يصبح كالقمل سوادا ويسمى الحبشان (الطور الحورى الثانى) فإذا سلخت الحبشان صارت يرقاناً فيها جدة سوداء وجدة صفراء (الطور الحورى الثالث) وجميع هذه الأطوار يسميها العرب خرشفاً وهى أشره ما يكون ، ويسلخ اليرقان المين أو الخيفان وتظهر فيه خطوط مختلفة من بياض وصفرة (الطور الحورى الرابع) ثم يصبح مرجلا أو كتفاناً لظهور أوائل أجنحته ولأنه إذا تحرك لا يطير بل يقفز فى الأرض مثل المكتوف الذى لايستعين بيديه إذا مشى ، ويسمى كذلك عتاباً لأنه يعتب أى يقفز (الطور الحورى الخامس) ثم يصبح غوغاء حين يخف للطيران (الطور الحورى السادس) . وقد سمى العرب السفلة المتسرعين إلى الشر من الناس بالغوغاء لكثرة لغطهم وجلبتهم . ثم يصبح عند ما يطير جراداً (الطور البالغ) . والمسيح هو الجراد إذا صار فيه خطوط سود وصفر وبيض وتسييح الجراد هو ما يخرج منه من ألوان شتى حين يزحف .

وقد عرف العرب الكثير عن أعضاء الجراد ، فقالوا إن للجرادة تأشيرة وهى التى تعض بها mandibles والتأشير أيضاً شوك ساقيه leg spines . أما الإشرتان أو الاثناء أو الأطواء Ovipositor Sheath فالعقدة التى فى رأس الذنب كالمخلبين وبها يرز الجراد أى يدفن بيضه فى الأرض ، ويقال للمخلبين اللذين تحت الساقين المنشاران . والنخاع hypopharynx هو الخيط الذى فى حلق الجرادة كاللسان . والبخنق جلباب الجراد على أصل عنقه Pronotum والمنكبان هما رؤوس الأجنحة Wing—bases والأجنحة أربعة : اثنان أعليان غليظان هما الظهران Forewings واثنان سفليان رقيقان هما القشران Hindwings والحؤشوش أو الجوش أو الجوشن Thorax هو صدر الجراد وله ست أيد وهى فى الجوشن . وسرم الجراد هو ما خلف الجوشن وهو ذنبها Abdomen .

وكان العرب على علم بتجمع الجراد وهجرته وتفرقه فقالوا حوم الجراد فى السماء أى حلق . وسام الجراد سوما إذا دخل بعضه فى بعض . وهمش إذا تحرك ليثور . وارتهش إذا ركب بعضه بعضاً حتى لا يرى معه تراب . وقالوا الشفترة تفرق الجراد . والجراد المشفتر هو المتفرق قال الشاعر :

فترى المرو إذا ما هجرت عن يديها كالجراد المشفتر

وعيران الجراد هى أوائله المتطرفة القليلة — وأرجال الجراد أى جماعته أو طوائفه تسمى القفعة . فإذا كانت غير كثيرة فهى الشيتان . أما إذا كانت كثيرة فهى الطبق أو الثوالة لتثولها وتراكبها . ورجل الجراد هى قطعة أو خيط منه يملأ مكاناً بقدر ميل فإذا كان أكثر من ذلك فهو زحف . فإذا سد الأفق من كثرته فهو السد أو العارض أو العرض ؛ فإذا كان أقل من ذلك فهو الحذفة . وصرير الجراد وفصيصه هو صوته ، وحشزته هى صوت أكله .

وقد وصف شعراؤهم ثوران الجراد وتحركه وأضراره أبلغ وصف . فقال ساعدة :

رأى عارضاً يهوى إلى مشمخرة قد أحجم عنها كل شىء يرومها

والعارض كما قلنا هو السرب العظيم من الجراد يرى كالسحاب فى ناحية من السماء كأنه يسد الأفق . ومنه قول العرب أتانا جراد عرض أى كثير .

(البقية فى العدد القادم)

الدكتور محمد مأمون عبد السلام